

أضواء البيان

@ 36 @ النبوات والرسائل السماوية إلى ابتزاز ثروات الناس ونزع ملكهم الخاص عن أملاكهم ، بدعوى المساواة بين الناس في معاشهم ، أمر باطل لا يمكن بحال من الأحوال ، مع أنهم لا يقصدون ذلك الذي يزعمون . وإنما يقصدون استئثارهم بأملك جميع الناس لينعموا بها ويتصرفوا فيها كيف شاءوا تحت ستار كثيف من أنواع الكذب والغرور والخداع ، كما يتحققه كل عاقل مطلع على سيرتهم وأحوالهم مع المجتمع في بلادهم . .

فالطغمة القليلة الحاكمة ومن ينضم إليها هم المتمتعون بجميع خيرات البلاد وغيرهم من عامة الشعب محرومون من كل خير ، مظلومون في كل شيء ، حتى ما كسبوه بأيديهم ، يعلفون ببطافة كما تelf البغال والحمير . .

وقد علم اﷻ جل وعلا في سابق علمه أنه يأتي ناس يغتصبون أموال الناس بدعوى أن هذا فقير ، وهذا غني ، وقد نهى جل وعلا عن اتباع الهوى بتلك الدعوى ، وأوعد من لم ينته عن ذلك بقوله تعالى : { إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَلَلَّاهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعْهُمَا أَلَمْ تَعْدِلُوا أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُم مَّا كَانَتْ لَهُمْ جُلُودٌ مِّمَّا تَتَّبِعُونَ خَبِيرًا } وفي قوله : { فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَلَمْ تَعْدِلُوا } وفي قوله : { فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ فَمَا يَبْغِيكُمْ فَاعْتَدُوا لِلْعَذَابِ } انتهى حرفياً . .

والحق أن الأرزاق قسمة الخلاق ، فهو أراف بالعباد من أنفسهم ، وليس في خزائنه من نقص ولكنها الحكمة لمصلحة عبادته ، وفي الحديث القدسي : (إن من عبادي لمن يصلح له الفقر ، ولو أغنيته لفسد حاله ، وإن من عبادي لمن يصلح له الغنى ولو أفقرته لفسد حاله) فهو سبحانه يعطي بقدر ، ولا يمسك عن قتر . .

ويكفي في هذا المقام سياق الآية الكريمة التي تكلم الشيخ رحمة اﷻ تعالى عليه في أسلوبها في قوله تعالى : { نَحْنُ قَسَمٌ لِّمَا نَحْنُ } وهذا الضمير معلوم أنه للتعظيم والتفخيم ، ومثله الضمير في قسمنا ، فلا مجال لتدخل المخلوق ، ولا مكان لغير اﷻ تعالى في ذلك . والقسمة إذا كانت من اﷻ تعالى ، فلا تقوى قوة في الأرض على إبطالها ، ثم إن واقع الحياة يؤيد ذلك بل ويتوقف عليه ، كما قال تعالى { وَرَفَعْنَا بَعْدَهُمْ دَرَجَاتٍ لِّبَيِّنَاتِ خَيْرِهِمْ } . .

وهؤلاء المعتدون على أموال الناس يعترفون بذلك ، ويقرون نظام الطبقات عمال وغير عمال . إلخ ، فلا دليل في آية سورة الحشر هنا { كَىٰ لَا يَكُونُ دُولَةً بِيَدِ الْآخِرِينَ } . .

